قصيدة حافظ افندي ابرهيم

في

تأبين المرحوم رياض باشا [1]

رياضُ أفق من غمرة الموت واستمع ... حديث الورى عن طيب ما كنت تصنعُ
افق واستمع مني وثاءَ جمعتهُ ... تشاركني فيهِ البريةُ أجمعُ
لنعلمَ ما تطوي الصدورُ من الأسى ... وتنظرَ مقروحَ الحشا كيف يجزعُ
لئن تلك قد عمَّرتَ دهراً لقد بكى ... عليك مع الباكي خلائق اربعُ
مضاءٌ وإقدامٌ وحزمٌ وعزمةٌ ... من الصارم المصقولِ أمضى واقطعُ
رُحمتَ فما جاهٌ بنوءٍ في العلى ... بصاحبهِ الاَّ وجاهك أوسعُ
ولا قام في ايامك البيض ماجدٌ ... ينازعك الباب الذي كنت تقرع
اذا قيل من للرأي في الشرق اومأت ... الى رأيك الاعلى من الغرب اصبع
وان طلعتْ في مصرَ شمس نباهةٍ ... فمن بيتك المعمور تبدو وتطلع
حكمتَ فما حكَّمتَ في قصدك الهوى ... طريقك في الانصاف والعدل مهيع
وقد كنت ذا بطشٍ ولكنَّ تحتهُ ... نزاهةَ نفسٍ في سبيلك تشفع
وقفت لاسماعيل والامر امرهُ ... وفي كفهِ سيفٌ من البطش يلمع
اذا صاحَ لبَّاهُ القضاء واسرعت ... الى بابهِ الايامُ والناسُ خشع
يذلُّ اذا شاء العزيزَ وثرثاي ... ارادتهُ رفع الذليل فيرفع
ففي كرةٍ من لحظهِ وهو عابس ... تدكُّ جبال لم تكن تتزعزع
وفي كرةٍ من لحظهِ وهو باسم ... تسيل بحار بالعطاء فتمرع
فما اغلبٌ شاكي العزيمة اروع ... يصارعهُ في الغاب أغلب اروع
بأجرأ من ذاك الوزير مصادماً ... ارادة اسمعيل والموت يسمع
وفي الثورة الكبرى وقد احدقت بنا ... صروف الليالي والمنية مشرع
نظرت الى مصرٍ فساءك ان ترى ... حلاها بايدي المستطيلين تبزع
ولم تستطع صبراً على هتك خدرها ... ففارقتها أسوان والقلب موجع

(1) تلاها في حفلة التأبين التي اقيمت في ٣٨ يوليه الماضي على قبر المقيد في قرافة الامام الشافعي

وعدت اليها حين ناداك نيلها اقل عثرتي فالقوم في الظلم ابدعوا
فكنت أبا محمود غوثاً وعصمة اليك دعاة الحق تأوي وتفزع

***

وكم نائبٍ في ارض مصر حميتهُ ومثلك من يحمي الكريم ويمنعُ
رعيت جمال الدين ثم اصطفيتهُ فاصبح في افياء جاهك يرتعُ
وقد كان في دار الخلافة ثاوياً وفي صدرهِ كنزٌ من العلم مودعُ
فجئت بهِ والناس قد طال شوقهم الى العيّ بالبرهين يصدع
فغرَّك من افهامهم وعقولهم وعاودهم ذاك الذكاء المضيَّعُ
ووليت تحرير الوقائع «عبدهُ» فجاء بما يشفي الغليل وينفع
وكانت لرب الناس فيهِ مشيئة فامست اليهِ الناس في الحق ترجع
وجاؤوا بابرهيم في القيد راسفاً عليهِ من الاملاق ثوب مرقع
فالفيت ملء الثوب نفساً طموحة الى المجد من اطمارها تتطلع
فاطلقتهُ من قيدهِ واقلتهُ وما كان في تلك السعادة يطمع
وكم لك في مصر وفي الشام من يد لها اين حلت نفحة تتضوع
رفعت عن الفلاح عبء ضريبة ينوء بها ايام لا غوث ينفع
وارهبت حكام الاقاليم فارعووا وكانوا اناساً في الضلالة اوضعوا
تخافوك حتى لو تناجوا بخلوة لظنوا رياحاً فوقهم تتسمع
أقمت عليهم زاجراً من نفوسهم اذا سولت امراً لهم قام يردع
سل الناس ايام الرشى مستفيضة وايام لا تخفى الذي انت تزرع
اكان رياض عنهم غير غافل يردُّ الاذى عن اهل مصر ويدفع

***

أمؤتمر الاصلاح والعرف قد مضى رياض واودى الوازع المتورعُ
وكان على كرسيهِ خير جالس لهيبتهِ تعنو الوجوه وتخشعُ
فيا ويلنا ان لم تسدوا مكانهُ بذي مرة في الخطبِ لا يتضعضع
بعيد مرامي الفكر اما جنانهُ فرحب واما عزمهُ فمنيعُ
فيا ناصر المستضعفين اذا عدا عليهم زمان بالعداوة مولعُ
عليك سلام الله ما قام بيننا وزير على دست العلى يتربعُ